الفصل الأول : عهـــد الفتح (90 _ 95 هـ)

*أوضاع شبه الجزيرة الأيبيرية قبل الفتح الإسلامي :

حكم هذه البلاد التي كانت تسمى بشبه جزيرة أيبيريا والتي تشمل اليوم اسبانيا والبرتغال عده أقوام منهم الفينيقيون ثم جاء الرومانيون والقرطاجيون والإغريق فأطلقوا عليها اسم (اسبانيا).

ثم غزاها الوندال وهم قبائل متبربرة ثم القوط الغربيين في القرن السادس الميلادي وأخيراً فتحها العرب المسلمين 92هـ/ 711م وكان حال اسبانيا في ظل الحكم القوطي قبل الفتح الإسلامي لا يختلف عن حال بقيه أوروبا عموما حيث الجهل والفوضى والتأخر.
ويعد نظام تولي العرش سبباً هاماً في هذا الضعف ذلك أن الحكم لم يكن وراثيا وإنما انتخابيا إذ يقوم المجلس الأعلى للدولة المؤلف من النبلاء وكبار رجال الدين بانتخاب الملك وكان الذي يتولى العرش في الغالب هو أقوى النبلاء وكثيرا ما كانت تصاحب عملية الانتخابات الدسائس والمكائد والمؤامرات الأمر الذي كان يثير المشاكل والفتن بسبب التنافس بين الأحزاب المتصارعة على العرش.

وفي سنه 700م تولى العرش الملك وتيزا Witizaالذي تسميه المصادر العربية (غيطشه) بعد وفاه أبيه إخيكا Egica فكان ذلك سببا في سخط النبلاء لان ذلك يعد خروجا على تقاليد ونظم الحكم القائمة على انتخاب الملك، وزاد من هذا السخط أن غيطشه عين ابنه أخيلا Achila الذي تسميه المصادر العربية (وقله) وليا لعهده.

لذلك ونتيجة لهذه الإعمال رغم بعض الإصلاحات، ازداد سخط النبلاء على هذا الملك واضطربت الأحوال في اسبانيا الأمر الذي جعل هؤلاء يحاولون التخلص منه، فقد ورد في حولية ايزيدور الباجي إن غيطشه خلع من العرش على اثر ثوره قام بها عدد من أنصار رودريكو Rodrigo الذي تسميه المصادر العربية (لوذريق)، كما يغلب على الظن أن المجلس الأعلى في طليطلة قد اتخذ قرارا بخلعه عندما عين ابنه (وقله) وليا لعهده , ويبدوان هذا القرار اتفق صدوره قبل وفاه الملك غيطشه في سنه 708 م مباشرة، فاحدث انقساما في صفوف الشعب، وقامت عده ثورات في مختلف أنحاء البلاد، وتوفي غيطشه تاركا شبه جزيرة أيبيريا (اسبانيا) على فوهة بركان، فقد اختار الحزب المعارض لأبناء غيطشه ملكا جديدا وهو رودريكو (لوذريق) دوق وحاكم إقليم باطقه Betico بقرطبة مبعدين بذلك (وقله) ولي العهد عن العرش والذي كان وقتئذ في شمال البلاد ,فلم يستطع العودة إلى طليطلة عاصمة المملكة القوطية.
إما لوذريق الملك الجديد، فقد اخذ يلاحق أنصار بيت غيطشه مما جعل بعضهم يلوذ بالفرار إلى شمال اسبانيا ,والبعض الآخر إلى سبته بالمغرب الإسلامي واللجوء إلى حاكمها يوليان ويقال أن بعض هؤلاء ذهب إلى والي المغرب موسى بن نُصير في القيروان (تونس) وأخذ يحرضه على التدخل في اسبانيا بينما اخذ نظراؤهم الذين أقامو في سبته يحرضون الكونت يوليان على الاتصال بالعرب للغرض ذاته لاعتقادهم أن العرب المسلمين إذا دخلوا إلى تلك البلاد كان هدفهم الغنائم, لذلك يخلصونهم من لوذريق ويملأون أيديهم من الغنائم ويعودون من حيث أتوا، وفي تلك الفترة ساءت العلاقات بين يوليان حاكم سبته وملك اسبانيا لوذريق لصلة النسب والمصاهرة التي ربطت يوليان ببيت غيطشه والإساءة التي ألحقها لوذريق بفلورندا ابنة يوليان إن صحت الرواية حيث كانت الأسر النبيلة ترسل أولادها إلى عرش المملكة في العاصمة طليطلة للتربية والتعليم و تقول الرواية بان لوذريق اعتدى على فلورندا بنت يوليان، الأمر الذي جعل يوليان يتصل بطارق

بن زياد في طنجة ويخرج إليه بنفسه على حد قول بعض الروايات ويطلب منه مساعدة العرب المسلمين على فتح الأندلس.

إضافة للعامل السياسي نذكر العامل الاجتماعي الذي كان عاملا آخر من عوامل الضعف والتدهور والفوضى في اسبانيا وهو التمايز الطبقي بين فئات ومكونات المجتمع القوطي في اسبانيا الذي يتكون من طبقتين رئيسيتين، الطبقة العليا وتتألف من النبلاء وهم نسل القوط الفاتحين ونبلاء الرومان الذين انضموا إلى هذه الطبقة عقب تحول القوط إلى المذهب الكاثوليكي ويضاف إليهم كبار رجال الدين، فكانت هذه الطبقة تتمتع بامتيازات عديدة، تمتلك الأراضي الشاسعة وتعيش منعزلة عن بقيه المجتمع ,ثم الطبقة الثانية هي الطبقة الدنيا المكونة من صغار الملاك والريفيين والفلاحين وأفنان الأرض وهي تشكل غالبيه المجتمع وتقع على كاهلها الالتزامات العديدة فضلا عن الضرائب الكبيرة وارتباط غالبيتهم العظمى بالأرض (الاقنان) الذين عاشوا حياة العبودية، مما جعل الهوة تتسع مع الأيام بين هاتين الطبقتين ويترسخ بينهما البغض والكراهية ويضاف إلى هاتين الطبقتين فئة اليهود الذي كان عددها كبيرا في اسبانيا وتتحكم في الحياة الاقتصادية وتعاني من الاضطهاد في مختلف العهود يعني كانت اغلب طبقات المجتمع تعاني من الظلم والاضطهاد والتمايز الاجتماعي الذي كان له اكبر الأثر في تردي الأوضاع في اسبانيا.
أما من الناحية الدينية في اسبانيا قبل الفتح العربي الإسلامي فقد كانت الديانات متنوعة مثل اليهودية والمسيحية والوثنية وقد انتشرت الديانة المسيحية في بادئ الأمر على المذهب الاريوسي والذي كان يؤمن بطبيعة السيد المسيح(ع) البشرية ثم تحولوا إلى مذهب الكاثوليكي في سنه 587م مما أدى إلى ارتباط البلاط الملكي بالكنيسة وازدياد الظلم والاضطهاد الاجتماعي ثم أصبحت اللغة اللاتينية هي الرسمية في اسبانيا واتخاذ طليطلة عاصمة للمملكة القوطية.
وخلاصه ما تقدم من الفشل السياسي والتفكك الاجتماعي والظلم الطبقي والتدهور الاقتصادي فقد كان المجتمع الاسباني يتطلع إلى التحرر وبانتظار الفجر الجديد.

جغرافية شبه الجزيرة الايبيرية:

شبه جزيرة أيبيريا - وتشمل اليوم اسبانيا والبرتغال– إقليم واسع تصل مساحته إلى 600 ألف كيلومتر مربع واسبانيا وحدها خمسة أسداس شبه الجزيرة,وتعتبر ثالث بلاد في أوربا في المساحة بعد روسيا وفرنسا فان مساحتها 516 ألف كيلومتر مربع.
تقع اسبانيا (شبه جزيرة أيبيريا) في الجنوب الغربي من أوروبا وتحدها البحار من جميع الجهات عدا الجزء الشمالي، فيحدها البحر الشمالي (البحر المتوسط) من الشرق والجنوب، ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ومن الشمال خليج بسكايه والشريط الحدودي من السلاسل الجبلية البرتات (البرانس) التي تفصل اسبانيا عن بلاد الغال (فرنسا.(
وشبه الجزيرة الايبيريه عبارة عن هضبة متوسطة ارتفاعها 600 متر عن سطح البحر وهي أعلى بلاد أوروبا باستثناء سويسرا وفيها كثير من سلاسل الجبال التي يصل ارتفاعها إلى 1600متر والبلاد مخمس تشقه سلاسل الجبال التي تجري مستعرضه بين كل سلسلة من الجبال والتي تليها يوجد واد يجري فيه نهر مستعرض أيضاً ولا نجد الأنهار الكبيرة التي تحمل الماء الوفير إلا في النصف الشمالي لشبه جزيرة,وتلك الأنهار تجري من الشمال إلى الجنوب من ناحية الغرب،هي نهر المنيو ثم الدويره ثم تاجه ثم الواديانه (الوادي آنه) ثم الوادي الكبير وعليه تقع قرطبة واشبيلية وهي قلب الأندلس الإسلامي ومنه يتفرع نهر شنيل وعلى فرع من فروعه

(حدارة) تقع مدينة غرناطة وفي الشرق يجري نهر ابرو وتقع عليه مدينة برشلونة كذلك نهر بلنسية ونهر مرسيه.

شبه الجزيرة في مجموعة إقليم جاف بصفه عامه، فلا تكثر الأمطار إلا في نصفه الشمالي أي إلى الشمال من وادي تاجه وهو الأغنى حيث الأنهار الغنية والمزارع والمراعي الواسعة فضلا عن المناجم الحديد والفحم ومعادن أخرى - ولابد أن نلاحظ أن القسم الذي ساده العرب كان أوسع مساحه بينما كان القسم الذي ساده النصارى (الممالك الاسبانية) اصغر حجما ولكنه أكثر ثروة ولهذا كان الناس أيسر حالا وغذاؤهم أحسن، وكذلك كانت خيولهم اقوى وذلك يفسر لنا لماذا كانت المعركة بين العرب وخصومهم في هذه البلاد معركة عنيفة دائما واستمرت عدة قرون برغم أن المسلمين كانوا يملكون القسم الأكبر لكنه الأفقر، وقد أخطا حكام الأندلس عندما جعلوا عاصمتهم قرطبة الواقعة على نهر الوادي الكبير وهو إقليم فقير وتقع في جنوب البلاد ولو أن العرب جعلوا عاصمتهم طليطلة، لتغير وجه التاريخ لأنها تقع وسط الإقليم الغني من حيث الغذاء والمراعي ومصادر المعادن فهي أسلحة الصراع الكبرى علماً أنهم أسسوا مدينة مجريط (مدريد)التي أصبحت عاصمة اسبانيا الحديثة لنفس الأسباب أعلاه، ولكن العرب كان لهم عذرهم منهم يريدون أن تكون قاعدتهم اقرب ما تكون إلى قلب دولتهم وبقية عشيرتهم في بلاد المغرب، وعلى أي حال فهذا هو الذي حدث ,كانت له نتائجه المعروفة والله سبحانه وتعالى غالب على أمره.
لقد أطلق العرب اسم الأندلس في البداية على شبه جزيرة أيبيريا كلها، وثم أخذت هذه الرقعة تتقلص شيئا فشيئا تبعا للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة العربية الإسلامية في شبه الجزيرة حتى صار مدلول لفظ الأندلس في آخر الأمر مختصرا على مملكة غرناطة (الأندلس الصغرى) وهي آخر مملكة إسلامية في اسبانيا وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة أيبيريا.
اشتق العرب كلمة (أندلس) من (واندالوس) وهي اسم قبائل الوندال (Vandalucia) الجرمانية التي اجتاحت أوروبا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي من شبه جزيرة أيبيريا ,وأعطته أسمها ثم جاء العرب المسلمين فاستعملوا هذا الاسم (أندلس)وبعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم العربي الإسلامي في اسبانيا سنة 897هـ/1492م أطلق الإسبان في الوقت الحاضر اسم اندالوثيا (Andalucia) على الولايات الجنوبية الاسبانية وهي المنطقة التي تشمل اليوم محافظات:غرناطة، قرطبة، اشبيلية، مالقة، المرية، قارش، ولبة وجيان، ويتمتع إقليم الأندلس اليوم بالحكم الذاتي على غرار بقية الأقاليم بإسبانيا ومساحته أكثر من 87 ألف كم2 ونفوسه أكثر من ثمانية ملايين نسمة واشبيلية عاصمة الإقليم.

تطلع العرب لفتح الأندلس :

بعد أن تمكن موسى بن نُصير من إقرار الفتح في ربوع المغرب العربي، وبسط السيادة العربية الإسلامية إلى حد كبير على القسم الغربي من البحر المتوسط، وتوفرت لديه إمكانات كبيرة تمثلت في القوات البرية والبحرية التي كانت تحت إمرته، كان لا بد له من الإستفادة من هذه الطاقة في فتوحات جديدة أسوة بما كان عليه الأمر في جبهة المشرق، إذ أن التوقف عن الفتح يُعد هدراً لها، وهو أمر تأباه عليه نفسه الطموحة، ويأبى عليه دينه وهو التابعي الجليل.

ونظراً لأن المحيط الأطلسي حال دون اتجاهه بجيوشه إلى الغرب، كما حالت الصحراء الكبرى دون التفكير في توجه تلك الفتوحات إلى الجنوب، لم يكن أمامه إلا الاتجاه شمالاً إلى جنوب غرب أوروبا، وتبعاً لذلك كان من الطبيعي أن تكون شبه جزيرة أيبيريا هي هدفه الأول، نظراً للصلة القوية بينها وبين المغرب العربي كما سبقت الإشارة إليه، من ناحية وللعوامل المشجعة التي بدا يلمسها منذ وصوله إلى العدوة الجنوبية من مضيق جبل طارق لتنفيذ المشروع والتي كان من أهمها تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تلك البلاد من ناحية ثانية، فضلاً عن العمل بالمبدأ الذي سبق أن اشرنا إليه بأن أي قوة تظهر في إحدى عدوتي هذا المضيق لابد وأن تعمل على الاستيلاء على العدوة الأخرى حماية لنفسها ولتتحرك في ذلك المضيق الهام من ناحية ثالثة.

ويبدو أن هذه الفكرة لم تولد فجأة في ذهن موسى بن نصير وإنما تكونت لديه منذ وقت مبكر من ولايته على إفريقية، ذلك أنه كان يدرك بأنه الدخول إلى أوروبا من هذه الجهة لنشر الإسلام فيها، أسهل بكثير من الدخول إليها من بابها الشرقي الذي تحرسه الإمبراطورية البيزنطية التي وقفت كالسد المنيع أمام العرب لسنوات طويلة، ذلك لأن هذه المنطقة كان يسودها الضعف والتمزق والإنحلال منذ الاجتياح الجرماني لها ولم يكن فيها دولة قوية تستطيع التصدي لجيوش الفتح العربي الإسلامي.

لذلك ومن قبيل الإعداد لتنفيذ هذه الفكرة وضع حامية كبيرة في مدينة طنجة عندما فتحها مولاه طارق بن زياد بلغت حسب رواية ابن عذاري 29 ألف جندي، وكذلك جوابه لطارق بن زياد حينما كتب إليه يقول بأنه أصاب في ميناء طنجة عندما فتحها ست سفن حيث قال له-:)أحترز عليها وأتمها سبعاً). ومن ذلك أيضاً غزوة لجزيرة صقلية في وقت مبكر لعامين متتاليين، وما تبع ذلك من فتح لجزر غرب المتوسط حيث أبعد خطر الأسطول البيزنطي عن شواطئ المغرب وخرق من قواعده في تلك الجزر، وبسط السيادة العربية عليها، فأن هذه الجزر أصبحت قواعد للأسطول العربي الإسلامي، ونقاط إرتكاز له في عمليات الفتح القادمة بوصفه القوة المساندة للقوات البرية في تلك العمليات.

ومن ذلك أيضاً اهتمامه بمعرفة أوضاع جنوب غرب أوروبا بدقة والحصول عليها أولاً بأول من التجار وبخاصة السوريين الذين كانوا يجوبون تلك المناطق منذ زمن طويل والتي لم تكن تخفي عليهم بحكم اتصالاتهم التجارية ليستفيد من المعلومات التي يحصل عليها في وضع خططه في أعمال الفتوحات المقبلة.

وبناءً على هذه المعطيات نستطيع أن نقرر بأن تطلع العرب المسلمين لفتح الأندلس قد بدأ منذ وقت مبكر من ولاية موسى بن نصير على إفريقية، وكان ضمن خطة إستئناف حركة الفتوحات ونشر الإسلام في القارة الأوروبية.

دوافع الفتح العربي الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا (الأندلس).

1-نشر الدين الإسلامي وإعلاء راية الله اكبر في أوروبا وفي البلدان ما رواء البحار .

2- حماية حدود الشمال المغرب من الأعداء البيزنطيين وإبعاد مخاطرهم عن المغرب الإسلامي.

3-إنقاذ المجتمع الاسباني من الظلم والعبودية بسبب سوء أحوال اسبانيا العامة.

4- الاستفادة من خيرات وثروات اسبانيا الاقتصادية.

5- نقل حركة الفتوحات إلى جنوب غرب أوروبا تنفيذا للخطة العامة للدولة العربية الإسلامية بوصف هذا الجزء من أوروبا هو الأسهل منالا للعرب المسلمين لصعوبة فتح القسطنطينية من الباب الشرقي التي تحرسه الإمبراطورية البيزنطية.

خطة ومراحل الفتح (90 _ 95 هـ) :

سبق وأن ذكرنا بأن والي المغرب الإسلامي موسى بن نصير من قبل الخلافة الأموية في القيروان (تونس) كان يخطط لفتح شبه الجزيرة الأيبيرية واتخاذ الإجراءات والخطوات اللازمة ومنها وضع حامية قوية وعدداً من السفن في طنجة وفتح عدداً من جزر البحر المتوسط وجمع المعلومات عن المنطقة إستعداداً لهذا الفتح وأخذ يتحين الفرصة المواتية للتنفيذ. وحينما أتصل القائد طارق بن زياد بالوالي موسى بن نصير يخبره بعرض وطلب الكونت يوليان حاكم سبتة، رحب بهذا العرض ولكنه سارع بالاتصال بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) لإطلاعه وإستئذانه وقد وافق الخليفة على هذا المشروع الكبير وطلب منه أن يخضها ويختبرها بالسرايا والحملات الاستطلاعية خشية على أرواح المسلمين حرصاً منه على عدم التغرير بهم في بحر كثير الأهوال.

كل هذا يؤكد أن فتح الأندلس لم يكن إرتجالياً أو مغامرة عسكرية وإنما كان وفق خطة موضوعة وبناءاً عليه أتصل موسى بالكونت يوليان وطلب منه أن يقوم هو أولاً بشن الغارة على شبه الجزيرة الأيبيرية قائلاً له كما يذكر ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب (أننا لا نشك في قولك ولا نرتاب، غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها، وبيننا وبينها البحر، وبينك وبين ملكك لوذريق حمية الجاهلية وأتفاق الدين، فجز إليه بنفسك وشن الغارة على بلاده واقطع ما بينك وبينه، وإذا ذاك تطيب النفس عليك ونحن من وراءك إن شاء الله) فأعد الكونت يوليان سرية قادها بنفسه وعبر إلى شبه الجزيرة (الأندلس) في مركبين وأغار على الساحل الجنوبي، فسبا وغنم ورجع، ومن الواضح أن هدف موسى من هذه الغارة هو أختبار دفاعات مملكة القوط في الجنوب من ناحيته، والتثبت من إخلاص يوليان من ناحية ثانية حتى قيل أن بعض المسلمين شاركوا في هذه الغارة لهذا الغرض. ولم يكتف الوالي موسى بن نصير بهذه الغارة الإستطلاعية بل أرسل سرية أخرى في شهر رمضان (91هـ/710م) مكونة من 500 جندي أربعمائة من المشاة ومائة من الفرسان بقيادة طريف بن زرعة بن أبي مدرك أو طريف بن مالك فقام بمهمته خير قيام وأغار على الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة وعاد بغنائم كثيرة دون أن يلقئ مقاومة ومن ذلك الحين أصبح اسم طريف يُطلق على بلدة صغيرة طريف .

تشجع الوالي موسى بن نُصير بهذه النتائج فطلب من القائد طارق بن زياد بالعبور إلى الأندلس في شعبان 92هـ/ نيسان 711 بحملة عسكرية مكونة من سبعة آلاف جندي معظمهم من البربر عبروا المضيق، بين ضفتي البحر المتوسط في المغرب والأندلس ونزلوا بصخرة جبل كالبي الذي سُمي بجبل طارق كهدية تاريخية لهذا القائد الذي أسس فيه قاعدة وحصناً عهد في حمايته إلى يوليان ثم فتح قرطاجنة وترك فيها حامية ثم وصلوا مدينة الجزيرة الخضراء ثم سار إلى الجنوب حتى بلغ الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة وسار بمحاذاة الساحل ثم ضرب عسكره في

منطقة واسعة ذات أراضي سهلية واسعة تكثر فيها المدن سماها العرب الخندق في كورة شذونة ولازالت تحمل ذلك الاسم إلى الآن لاخاندا (La janda) يحدها من الشرق نهر لكة ومن الغرب وادي البرباط حيث أخذ القائد طارق ينظم قواته إنتظاراً للقوط بعد أن سيطر على المضيق وأمن خطوط مواصلاته مع المغرب. أما لوذريق حاكم شبه الجزيرة الذي كان عند عبور طارق إلى الأندلس في شمال البلاد يقوم بإخماد ثورة قام بها البشكنس أو ربما أنصار بيت غيطشه الذي فروا من تلك النواحي من بطش لوذريق فقد عاد مُسرعاً إلى طليطلة حيث حشد جيشاً ضخماً قدرته كما تذكر بعض الروايات بمائة ألف جندي وبعض آخر بسبعين ألف جندي وفريق ثالث ومنهم أبن خلدون بأربعين ألف جندي حيث زحف به لملاقاة طارق بأمر هذا الجيش الضخم كتب إلى موسى بن نصير طالباً منه المدد بقوله: "الغوث الغوث فقد تداعت علينا الأمم" فأمده بخمسة آلاف جندي فأصبحت عدة جيشه (12) ألف جندي وقد استشهد فيها أكثر من ثلاثة آلاف شهيد أي ثُلث الجيش وفي 28 رمضان سنة 92هـ/19 حزيران 711م أشتبك الجيشان في معركة حاسمة دامت ثمانية أيام وأقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى ظنوا أنه الفناء وهي لم تقع في موضع محدد يمكن أن تسمى باسمه وإنما معركة من طراز جديد بين قوتين غير متعادلتين وأستمرت المعركة حتى أنهزم الجيش القوطي بقيادة لوذريق الذي هرب من المعركة وقُتل في لورقة ولهذا تحمل هذه المعركة في النصوص التاريخية أسماء كثيرة فهي تُسمى معركة البرباط أو معركة شريش، أو معركة الخندق، أو معركة وادي لكة وأحياناً تُسمى معركة شذونة.
ويبدو أن طارق بن زياد هو الذي رسم خطة هذه المعركة على هذا النحو لأن الفرق بين القوتين كون الجيش القوطي يفوق الجيش الإسلامي في العدد والعُدة، وهو يُحارب على أرضه في بلد يعرفه وقريب من مصدر الإمداد.

وبعد الانتصار في هذه المعركة الحاسمة التي دلت على قدرة وموهبة طارق العسكرية أتجه إلى الشمال نحو طليطلة عاصمة المملكة وهي تبعد أكثر من 600كم عن مكان المعركة الأولى وأن دل على هذا شيء فإنما يدل على قوة الأجيال الإسلامية الأولى وعزيمتها وإيمانها بالفتح لنشر الإسلام.
حيث استولى على مدينة المائدة (قلعة عبد السلام) بوادي الحجارة وحصلوا منها على ذخائر ذات قيمة كبيرة ومن بينها مذبح الكنيسة الذي سماه العرب (مائدة سليمان) وبعد إتمام هذه الفتوحات كُتب إلى الوالي موسى بن نصير يبلغه الخبر العظيم كذلك بلغت أخباره العدوة المغربية مما دفع بالكثير من أهلها الإلتحاق والإنضمام لجيشه حيث زحف مُسرعاً إلى شذونة (شريش) وفتحها، ثم مضى إلى المدور ثم عطف إلى قرمونة ثم أتجه إلى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية، ومنها زحف إلى استجه التي تجمع فيها فلول القوط وكانت تعد المركز الأول للمقاومة وبعد حصار وقتال شديد صالحه حاكمها على الجزية، "هكذا هبت رياح النصر على المسلمين، وقذفوا أعداءهم بالرعب، وكانوا يظنون طارقاً راغباً في الغنائم عاملاً على القفول فسقط في أيديهم، وتطايروا عن السهول إلى المعاقل وصعد ذوو القوة منهم إلى دار مملكتهم طليطلة."
وكان جيش طارق قد تضخم عمن وفد إليه من أهل المغرب، فوزع قسماً من جنوده في بعوث جانبية وفق الخطة الإسلامية في فتح البلدان، فأرسل سرية مكونة من 700 فارس بقيادة مغيث الرومي إلى فتح قرطبة، وسرية أخرى إلى مالقه، وسرية أخرى إلى البيرة، أما هو فقد سار ببقية الجيش إلى كورة جيان قاصداً طليطلة حيث دخلها فاتحاً في سنة (93هـ/712م) دون مقاومة تُذكر بعد هروب كبار القوط ورجال الدين فلاحقهم طارق إلى ما وراء جبال طليطلة، وعاد بعد ذلك إلى طليطلة لقضاء فصل الشتاء الذي كان قد أقترب لإراحة جنده وتنظيم ما قام بفتحه من تلك البلاد.

دخول موسى بن نصير الأندلس واشتراكه في الفتح (93 هـ) :

كان طارق بن زياد بزحفه الخاطف إلى طليطلة كمن دق أسفيناً في وسط شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا) وبقي جناحاه مكشوفان، الأمر الذي كان يشكل خطورة كبيرة إذا ما قام العدو بحركة إلتفاف وقطع عليه خطوط إتصاله بالمغرب الإسلامي، لذلك أسرع موسى بن نصير بإعداد جيش كبير بلغت عُدته 18 ألف جندي معظمها من العرب هو الذي عُرف في التاريخ بطالعة موسى عبر به البحر إلى الأندلس في رمضان (93هـ/712م) لإنقاذ هذا الموقف وليس حسداً لطارق على الفتح كما ذكرت بعض المصادر، وأنه أراد أن ينال نصيبه هو الآخر من شرف الفتح والجهاد، وعند نزوله إلى البر الأندلسي سار بقسم من هذا الجيش إلى الغرب ولم يتخذ نفس الطريق الذي ساره طارق بن زياد حتى فتح العديد من كبريات المُدن، إذ فتح قرمونة، اشبيلية، ماردة، لبله، باجه، ثم أتجه بعدها إلى طليطلة حيث التقى بطارق ويُقال أن موسى أهانه أو ضربه بالسوط وغير ذلك من الروايات لتعجله في عمليات الفتح وتعريض جيشه إلى الخطر، ولكن هذا كله غير صحيح وربما يكون الرجلان قد تعاتبا ولكننا نجدهما عقب ذلك يسيران معاً لمواصلةالفتوح.

لقد قضى موسى بن نصير على مظاهر المقاومة في المناطق التي مر بها ومهدها، الأمر الذي جعل فلول القوط تفر إلى الشمال وتتجمع هناك بقيادة لوذريق في وادي الحجارة وقد انتصر موسى عليهم وفرق جمعهم وفي هذه المعركة قُتل لوذريق. وأما القسم الثاني من الجيش فأتجه بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير إلى شرق الأندلس، ففتح مالقه وغرناطة وفي أثناء ذلك أنتفضت أشبيلية على المسلمين فسارع عبد العزيز لإخماد الثورة ثم أستولى على لبله وباجه وأكشونبه وهذه أكبر مدن الجنوب الغربي لشبه الجزيرة التي تقع اليوم في البرتغال وبذلك تكون الجيوش الإسلامية قد وصلت إلى ساحل المحيط الأطلسي في هذه الناحية من أوروبا كما وصل القائد عقبة ابن نافع من جهة المغرب الإسلامي سابقاً.

وبعد أن قضى كل من الوالي موسى بن نصير والقائد طارق بن زياد شتاء 94هـ/713م في طليطلة خرجا سوياً باتجاه الشمال لإستكمال فتح شبه الجزيرة حيث اتجاها إلى سرقسطة وفتحاها سنة 94هـ/713م وقام التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني باختطاط مسجد سرقسطة الذي سيصبح من أكبر مساجد الأندلس، ثم أتجاها إلى لاردة، طركونة مروراً بمدينة وشقه وفتحوها جميعاً، واستمر موسى وطارق في فتوحاتهما في الشمال حتى وصلا جبال البرتات وبذلك لم يبقى إلا الركن الشمالي الغربي من شبه الجزيرة الذي يُعرف باشتوريش من منطقة جيليقية (غاليسيا) التي زهد فيها العرب المسلمين لوعورة مسالكها وقساوة مناخها وقلة مزروعاتها، فتركوها وهي المنطقة التي تجمعت فيها فلول القوط وكونت نواة حركة الاسترداد فيما بعد. وكان موسى حسب رواية المقري يعتزم المضي قُدماً في فتوحاته حتى يخترق أوروبا من الغرب إلى الشرق ليصل إلى القسطنطينية وهذه الرواية فيها نوع من المبالغة والإسراف كما هو واضح، لأن المسافة بين طليطلة والقسطنطينية لا تقل عن 8000 كم ثمانية آلاف كيلومتر. كلها جبال ومرتفعات، يحتاج إلى قطعها إلى إعداد وعُدد يصعب تصورها.

ولكن الظروف لم تُمهل موسى وطارق للاسترسال وراء لاردة حيث وصلت أوامر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك برجوعهما إلى دمشق ليقدما بنفسيهما بياناً عن الفتوح ولم يرفض موسى الإستجابة لهذا الطلب ولكنه طلب إمهاله حتى يستكمل الشمال الشرقي لشبه الجزيرة، ثم يتجه بعد ذلك لفتح الشمال الغربي فأمر طارق بمواصلة السير الطريق الروماني، وسار هو في إتجاه الشمال الغربي نحو جليقية، أما طارق فقد تمكن من إخضاع منطقة أرغون ثم أتجه غرباً ليلحق بموسى فاستولى على ألبه والقلاع (إقليم قشتالة القديمة) وأخيراً استولى على بلدة ليون. أما موسى فقد دخل إقليم استوريش فاستولى على ابيط ووصل إلى ساحل خليج بسكاي عند خيخون ووصل قائده إلى مداخل إقليم جليقية، شعر موسى أنه أتم فتح شبه الجزيرة وأنه يستطيع

بعد ذلك أن يُلبي أمر الخليفة الوليد.
وهكذا نرى هذين الفاتحين العظيمين يأخذان طريق العودة إلى الشرق في سنة 95هـ/714م وقد تركا الأندلس وراءهما، بعد أن قاما بما يمكن إعتباره معجزة من معجزات الفتوح العربية الإسلامية في بحر ثلاث سنوات من الجهد المتواصل والحركة الدائمة، فقد استطاع هذان الرجلان مع مجموعة من المسلمين من عرب وبربر لا يزيد عددهم عن 30.000 ألف مقاتل أن يفتحوا بلداً أوروبياً واسعاً يُعد من أصعب الأقطار الأوروبية من الناحية الجغرافية الطبيعية.
يُعد الوالي موسى بن نصير أول والي عربي مُسلم من ولاة الأندلس يحكم بلداً أوروبياً وقد أكد ذلك عندما أمر بضرب عملة إسلامية في دار السكة بطليطلة باللغة اللاتينية.
وقد خلف موسى ابنه عبد العزيز بن موسى والياً على الأندلس مكانه في سنة 95هـ/714م فأهتم بفتح الأجزاء التي لم تكن قد فُتحت بعد من شرق الأندلس فأتجه بجيش كبير إلى الشرق الأندلسي حيث ثبت الفتح في الجنوب الشرقي أي في مالقه وغرناطة ونواحيهما ثم زحف شمالاً إلى كورة تدمير (مرسيه) حيث صالح صاحبها (تيودو ميرد) الذي تُسميه المصادر العربية بـ(تدمير) على جزية سنوية وتذكر بعض المراجع بأن فتوحات عبد العزيز لم تقتصر على ذلك، وإنما قاد حملة كبيرة حيث فتح برشلونة وجرنده حتى بلغ ارجونه ثم فتح بنبلونه قبل سنة 714م، وبهذه الفتوحات في الشرق والشمال الشرقي للبلاد يكون عبد العزيز قد استكمل فتح الأندلس بإستثناء منطقة اشتوريش حيث أتجه بعد ذلك إلى تنظيم البلاد وإدارة شؤونها.

نتائج فتح الأندلس :

لكل حدث تاريخي أسباب ونتائج ومن نتائج فتح الأندلس هي-:
1- الناحية السياسية: سقطت مملكة القوط وتحولت إسبانيا إلى ولاية للدولة العربية الإسلامية الكبرى يحكمها ولاة بعينهم والي إفريقية أو والي مصر بموافقة الخليفة الأموي في دمشق قبل سقوط الخلافة الأموية سنة (132هـ).

2- الناحية الاجتماعية: أدى الفتح العربي الإسلامي للأندلس إلى تغيير شامل في المجتمع الإسباني فلم يعد ينقسم المجتمع إلى طبقة ارستقراطية (الطبقة العليا) متمثلة في القوط ورجال الكنيسة وطبقة متوسطة تعمل لحساب الارستقراطية وتتقاضى الأجر القليل، وطبقة دنيا من الاقنان والارقاء ويهود ناقمين على الحكومة لاضطهادهم، وإنما ذابت الفوارق بين طبقات المجتمع الجديد بمرور الزمن ظهرت مكونات اجتماعية منها العرب الذين ساهموا في الفتح أو هاجروا إلى إسبانيا واستقروا فيها بعد الفتح، والمغاربة (البربر) هم أهل المغرب الذين ساهموا في الفتوحات، كذلك الإسبان سكان البلاد الأصليين الذين بدوأ بتعلم اللغة العربية وسموا بالمستعربين وبقوا على دينهم لأنه لا إكراه في الدين بشرط دفع الجزية، وطبقة المولدين التي ظهرت من زواج العرب بالإسبانيات.

3- الناحية الاقتصادية: تحسن الأوضاع الاقتصادية في الأندلس، فاعيد توزيع الأراضي الزراعية بين العرب والبربر والإسبان، ولم يعد الإسباني يزرع لصالح الارستقراطية التي لم تكن له سوى النزر اليسير في حين ترك العرب الأرض في يد الإسبان ليزرعوها ويؤدون خراجها الذي حدد بنسبة المحصول وجودة الأرض وبعده وقربه من مصادر المياه.

4- الناحية الدينية والثقافية: أدى الفتح إلى انتشار اللغة العربية والإسلام وظهور الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس تدريجياً، وكانت إسبانيا قبل الفتح تعيش في ظلام الجهل ولكن الإسلام أضاء بنوره هذه البلاد وأدى ظهور العلم والثقافة وانتشار الحضارة الإسلامية وإنتقالها إلى أوروبا عبر الأندلس، صقلية، الحروب الصليبية والتجارة والتجار.

استاذ المادة:
عصام كاطع داود الشويلي

مدرس المادة
م.د. اثير عبد الكريم صادق